عثمان يا عثمان
لعبة القدر
رواية
دار بسمة
للنشر الإلكتروني

لعبة القدر

عثمان يا عثمان

اسم الكتاب: لعبة القدر

اسم الكاتب: عثمان يا عثمان

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-207-230111

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

كل الحقوق محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

لعبة القدر

رواية

عثمان يا عثمان

دار بسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل أحد يحترم الآخر، يحترم أفكاره واعتقاده شرط أن يحترمه الآخر أيضا وألا تكون أفكاره تفسد مجتمعاتنا، (هذا الكلام ليس موجها إلى أي فئة بعينها في هذا الكون فقط، بل إلى كل مواطن موجود في هذا الكوكب).

إلى والدتي العزيزة وإلى أستاذتي العزيزة، السالكة الراجي أم أشرف وهي قد ساهمت في هذه القصة، شكر وتقدير لها.

شكر خاص لدار بسمة للنشر الإلكتروني.

البداية

في القرن الماضي، كان اليهود المغاربة يعيشون بسلام وأمان مع إخوانهم المسلمين.

وفي ذلك الزمان كانت الأسرة اليهودية جارة للأسرة المسلمة.

وكانت ربات الأسر أعز صديقات، كأنهن أخوات.

في أحد الأيام، ذهب رب الأسرة المسلمة إلى المقاومة المغربية، وترك زوجته حاملًا. في ذلك الوقت كانت الزوجة اليهودية حاملًا أيضًا، وكان زوجها مهاجرًا بأمريكا من أجل العمل، على أساس أن تلحق به زوجته بعد ولادة ابنهما مع بقية الأبناء.

مرت الأيام، ووضعت كلٌّ من: «راشد» و«رحمة» مولوديهما، ولكن وليد الأسرة المسلمة وُلد مريضًا كثيرًا، أما رضيع الأسرة اليهودية فكان في صحة جيدة. وقد فرحت الأسرتان بوليديهما، رغم أن ابن الأم المسلمة كان مريضًا، فهذا لم يمنعها من أن تفرح بقدومه.

وبعد عدة أشهر كانت «رحمة»، الأم المسلمة، تذهب بابنها إلى المستشفيات، لتعرف ما هو مرضه، ولكن للأسف.. لم يستطع الأطباء تشخيص المرض.. فقالوا لها لن يعيش أكثر من سنة.

لم تفقد الأم أمل أن يعيش ابنها، لهذا كانت كل يوم تذهب به إلى المستشفيات. في حين كانت الأم اليهودية سعيدة برضيعها، كانت هي جد حزينة لمعاناة ابنها.

ذات يوم، كانت الأم قد فقدت الأمل في المستشفيات المغربية فخطرت لها فكرة..

ذهبت عند صديقتها اليهودية.. وبعد قليل.. قالت «راشد»: كيف حالك؟ هل أنت بخير يا أختي «رحمة»؟

كانت عيون «رحمة» مليئة بالدموع والحزن، أجابت: الحمد لله على كل حال.. وانفجرت باكية: سوف يموت ابني حبيبي.. ابني سيموت.. ابني سوف يموت.. ابني حبيبي.. بدأت تبكي، وبكت معها صديقتها «راشد» اليهودية، وأخذت تحضنها.

قالت الأم المسلمة: أرجوكِ ساعديني.. ساعدي ابني، إنه محتاج إلى مساعدتك.

فأجابتها صديقتها: طبعًا، سأساعده لأنه مثل ابني.. لكن ماذا يجب أن أفعل؟

قالت الأم المسلمة «رحمة»: اذهبي بابني إلى الولايات المتحدة الأمريكية، على أنه ابنك، من أجل العلاج هناك.

لم تستطع «راشد» أن تجيبها في حينه، فقط كانت تنظر إليها.

ولا «راشد» تفكر في طلب صديقتها المسلمة لأيام طويلة.

كانت لا تستطيع أن تختار بين رضيعها ابنها، وبين رضيع صديقتها، وهو بين الحياة والموت.

وذات يوم، قررت أن توافق على طلب صديقتها، بعد أن ازداد مرضه كثيرًا.

في اليوم التالي ذهبت الأم اليهودية برضيع صديقتها إلى أمريكا، على أنه ابنها، وابنها الحقيقي عند صديقتها، إلى أن ترجع إلى المغرب هي ورضيع «رحمة».. لكن القدر كان له رأي آخر.

حينما وصلا إلى أمريكا، ذهبت به بالفعل إلى المستشفيات هناك من أجل العلاج، وبعد عدة أيام استطاعوا علاجه، لكنه للأسف سيبقى

جالسًا على كرسي متحرك إلى الأبد.. كانت «راشد» حزينة على ابن صديقتها كأنه ابنها.

حين أرادت أن تعود مع الطفل إلى بلدهم المغرب، تفاجأت أنها لا يمكنها ذلك، لأن كل اليهود المغاربة سوف يرحلون إلى إسرائيل للعيش هناك، هذا قرار الحكومتين: المغربية والإسرائيلية. رغم ذلك حاولت الرجوع، لكن زوجها منعها. وهي لا تستطيع أن تقول له أن ذلك الطفل ليس ابنهما، وأن ابنهما الحقيقي بقي هناك بالمغرب، لأنها كانت تخشى أن يتخلى زوجها عن رضيع صديقتها، وهو محتاج إليها، لأنه ليست معه والدته.

وفي الأخير، استسلمت للقدر، وربت الطفل المسلم كأنه ابنها الحقيقي.

وبعد عدة أشهر، نقلت الأسرة اليهودية للعيش بدولة إسرائيل.

في ذلك الوقت.. كانت الأم المسلمة «رحمة» تنتظر اليوم الذي ترجع فيه صديقتها وابنها إلى المغرب، لكن لم يأت ذلك اليوم.

استمر الأمر لسنوات طويلة، كانت خلالها الأم المسلمة لا تستطيع أن تخبر زوجها بحقيقة ابنهما.

كبر ابن الأسرة اليهودية مع الأسرة المسلمة، وصار شابًّا.

ربته «رحمة» مع باقي أبنائها على أنه ابنها، كانت لا تستطيع أن تخبره بالحقيقة، ولم تفقد الأمل في عودة صديقتها في يوم من الأيام ومعها ابنها الحقيقي.

كان الشاب اليهودي الأصل يعيش في مجتمع مسلم، كان قد ترك الدراسة في عمر عشر سنوات، والتحق بالكتاب ليتعلم القرآن الكريم. لم يكن الشيخ المعلم إنسانًا طيبًا.

في أحد الأيام، كان الشيخ يتحدث مع تلاميذه في المسجد، ومن بينهم التلميذ اليهودي الأصل «محمود».

قال الشيخ: غير مسلمين هم أعداؤنا، أعداء ديننا، والذي يدعونا للعيش معهم هو أيضًا عدو لنا، ولله ولرسوله –عليه السلام–.

انظروا هؤلاء الكفار الإسرائيليين كيف يعاملون إخواننا الفلسطينيين، إنهم يقتلونهم بلا رحمة، لا يفرقون بين المدنيين وغير مدنيين.

كان الشيخ يربي تلاميذه على كره كل من ليس مسلمًا.

وبعد عدة سنوات...

وفي ليلة من الليالي، بينما كانت الأسرة المسلمة تشاهد التلفاز، عرضت القناة صورًا ليهود مغاربة.

قالت الأم «رحمة»: متى يعودون إلى المغرب؟ فأجابها الشاب باستغراب: لماذا تريدينهم أن يعودوا يا أمي؟ إنهم لا يعترفون برسالة محمد –عليه السلام–.. إنهم يكرهون الإسلام والمسلمين.. لا يجب أن يعودوا.. لا يجب أن نعيش معهم، إنهم أعداؤنا.

فردت عليه أمه بغضب: اسكت يا ولدي «محمود»، كنا نعيش معهم مثل الإخوان، كانوا جيرانًا طيبين، كانوا..

قاطعها: لا، لا، ليسوا إخوانًا لنا، بل هم أعداؤنا.

نظرت إليه قائلة في نفسها: اخرس يا ولدي، إنهم والداك الحقيقيان.

مرت الأيام.. ودخل الشيخ السجن بسبب تطرفه، في يوم محاكمته، ذهب تلاميذه إلى المحكمة من أجل مساندته.. كان هناك رجل غريب ينظر إليهم.

حكمت المحكمة على الشيخ بثلاثين سنة سجنًا، وهذا أغضب التلاميذ وأحزنهم.

واستمر الرجل الغريب في مراقبتهم.. لاحظ أحد التلاميذ وجوده، فأخبر أصدقاءه بأمره.

قال «محمود»: هيا بنا لنسأله.

فهم الرجل الغريب أن التلاميذ قد لاحظوا وجوده، فاقترب منهم قائلًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ردوا عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. من أنت؟ وماذا تريد؟ لماذا تراقبنا؟

أجابهم: أنا صديق قديم لشيخكم، هل من الممكن أن نتحدث؟ ولكن ليس هنا، بل في مكان بعيد عن عيون الناس. أجابه «محمود»: ممكن طبعًا.. مرحبًا بصديق شيخنا.. ولكن يا سيدي، فيمَ سنتحدث؟

نظر إليه الرجل الغريب، ولم يجبه ثم انصرف..

بعد عدة سنوات..

كان «محمود» وأصدقاؤه قد تعلموا كيف يحاربون بالسلاح الناري. قاموا بعدة أعمال غير قانونية مع الجماعة التي كانوا أعضاء فيها داخل اليمن وخارجها.

استمرت الجماعة تقتل الأرواح المدنية، وتقوم بالكثير من الأعمال التخريبية ضد أمن الجزيرة العربية.

كان زعيم الجماعة كل يوم يقرب منه «محمودًا» حتى أصبح ذراعه اليمين.

ذات يوم جاء خبر محزن لـ«محمود»: لقد تُوفي والده المسلم.. طلب من زعيمه أن يسمح له بالذهاب إلى المغرب.. فوافق الزعيم الذي كان لديه هدف آخر من وراء موافقته.

بالفعل رجع «محمود» إلى المغرب مع بعض الأشخاص.

لاحظت أسرته أنه تغير كثيرًا، ولم يعد كما كان معهم قبل سفره.. رجع إنسانًا غريبًا.

وبعد عدة أسابيع، كانت أخته تلم ملابس الغسيل، فلاحظت وجود سلاح بين ملابس «محمود». فتساءلت باستغراب: ما هذا؟ لماذا أخي لديه سلاح؟ يجب أن أسأله. (لم تكن تستطيع أن تخبر والدتها بأمر السلاح).

في الليل، كان «محمود» وأصدقاؤه يتناولون وجبة العشاء، فنادته أخته، اقترب منها، وقال لها: ماذا تريدين؟ ألم أقل لك لا تخرجي من الغرفة عندما يكون معي أصدقائي؟ أعطته السلاح.. تفاجأ. قالت: أريد أن أسألك عن هذا، لماذا هو في ملابسك؟ يا أخي هل لديك أي مشكل؟ بعد عودتك من ليبيا بدوت غريبًا.. أجابها: ليس لي.. بل لصديقي.. هل كنتِ تفتشين ملابسي؟

ردت: لا.. لا.. بل كنت أريد فرز المتسخ منها لأغسله.. يا أخي لماذا هؤلاء الناس لديهم سلاح؟ من هم؟!

رد عليها بغضب: سوف أختار من أشاء ليكون صديقي.. هيا ادخلي إلى غرفتك، ولا تخرجي منها حتى يذهب أصدقائي.

ذهبت أخته إلى غرفتها، وبدأت تفكر كيف عاد أخوها من ليبيا.

في اليوم التالي كان «محمود» يهاتف زعيمه قائلًا: سيدي، ربما حان موعد عودتي إلى اليمن، أخشى أن تكتشف عائلتي حقيقة أمري.

رد عليه الزعيم: لا، لا، لا داعي لترجع، لدي لك عمل، يجب أن نقوم بشيء ضد أمن المغرب العربي، لتصحيح الوضع هناك.. ما رأيك أن نكون جماعة هناك وتكون أنت رئيسها؟

أجابه «محمود»: شكرًا جزيلًا لك يا سيدي على ثقتك، فهذه مسؤولية كبيرة.

مرت عدة أيام كان «محمود» خلالها يعمل على تكوين الجماعة بالمغرب مع بعض الأشخاص من أصدقائه.

أول شيء قاموا به هو أنهم اكتروا منزلًا، كانوا يجتمعون فيه.. كان «محمود» يأتي إليه كل يوم، للتحدث عما سيقومون به من أعمال مخلة بالقانون.

كانوا يريدون أن يعبئوا الشباب للجهاد، للقتال في سبيل الله.

وبعد عدة أشهر، كان بعض الشباب بالفعل قد صدقوا كلامهم، وانضموا للجماعة.

قاموا بسرقة بنك، لأنهم يريدون أن يُسْهِمُوا في خزنة الجماعة، ويقوموا بعمل يخرب اقتصاد المغرب، ولكن قادتهم الكبار كان لديهم هدف آخر أخطر من ذلك.

بعد سنة.. كانت الجماعة قد قامت بكثير من العمليات الإرهابية.

ذات يوم كان «محمود» وصديقه يتمشيان في الحديقة، فمر من أمامهما زوجان مع صغيرهما.. لم تكن المرأة ترتدي الحجاب.. فقال لهما «محمود»: يا كفار.. لماذا لا تحترموننا؟

أجابه الزوج بغضب: ماذا؟ ماذا قلت؟ حاول الزوج أن يضرب «محمودًا»، لكن هذا الأخير أخرج سكينًا.. فذهب الزوجان.. فضحك صديقه، وقال له: هيا بنا، لقد تعلم هؤلاء الكفار الدرس.

صارت الجماعة خطيرة.. كان الأمن يراقبها بالسر. ذات يوم كان رئيس الشرطة في اجتماع مع المحققين، وكانت شاشة الحاسوب تعرض صورا لـ«محمود».

قالت المحققة: هذا الشخص اسمه «أبو يوسف»، ولكن اسمه الحقيقي هو «محمود». هو زعيم منظمة خطيرة بمدينة «الصويرة»، وهي تابعة لمنظمة دولية.. قامت بكثير من الجرائم في الجزيرة العربية.

قال الرئيس: يجب أن ندخل «أبا يوسف» هذا وأصدقاءه السجن، قبل أن يقوموا بأي جريمة خطيرة ضد أمن هذا الوطن.. فمهمتنا هي حمايته من أي خطر.. تبعثون إليهم بمحقق سري، لينضم إليهم من أجل مراقبتهم من داخلهم، إلى أن تحين الفرصة المناسبة لنقضي عليهم جميعًا.

بعد ذلك بأيام، كان المحقق السري يراقب «محمودًا» وصديقه.. كان رفقته شرطي تبادلا النظرات ثم افترقا..

وبعد قليل.. كان كلٌّ مِن المحقق السري والشرطي يمشيان في اتجاه مختلف، ثم وقفا جنب المقهى الذي كان «محمود» وصديقه جالسين فيه.. بدآ يتحدثان وكأنهما يعرفان بعضهما، وبدآ يمثّلان أن لديهما مشكلة.. قال الشرطي: أرني بطاقة تعريفك الوطنية.

أجابه المحقق السري: لا يا سيدي، ليست لدي، لقد نسيتها بالمنزل.

رد الشرطي بصوت عالٍ: لماذا خرجت من منزلك وليست لديك بطاقة التعريف؟ سوف تدخل السجن.

رد المحقق السري: أرجوك يا سيدي، لا تدخلني السجن، لأن والدتي متعبة جدًّا أرجوك، أرجوك يا سيدي.

رد عليه الشرطي: حسنًا! هذه المرة سامحتك، ولكن في المرة القادمة التي أراك فيها وليست لديك بطاقة التعريف، مباشرة سأدخلك السجن بلا رحمة.

ذهب الشرطي.. نظر إليه المحقق السري وهو يبتعد.. في تلك الأثناء كان «محمود» وصديقه ينظران إليه، فالتفت إليهما واقترب منهما قائلًا: حسبي الله ونعم الوكيل في هذه الحكومة التي تحترم الغني وتقسو على الفقير.

تبادل «محمود» وصديقه النظرات ثم حدقا للمحقق السري ولم يجيباه.. نظر إليهما ثم جلس إلى مائدتهما، وقال: حسبي الله ونعم الوكيل.. كم أتمنى لو تأتي أي جماعة تخاف الله، وتقضي على هذه الحكومة الفاسدة.. يا ليتها تأتي لتصلح الحال.. يا ليتها تأتي.

رد عليه الصديق: ما هو المشكل الذي كان بينك وبين الشرطي.

– ليس مشكلًا كبيرًا.. رد عليه المحقق السري.. فقط لم يجد عندي بطاقة التعريف الوطنية، لأنني نسيتها بالمنزل، لهذا السبب كان يريد

سجني.. لو أن ذاك الشرطي التقى سائحًا أوروبيًّا وليس معه جواز سفره، فلن يوقفه، بل سيساعده!

كان المحقق السري يحاول التقرب منهما، وكان يريد أن يصدقاه ويثقا فيه.

بعد ساعة.. بالفعل صدقه «محمود» وصديقه. غادرا المقهى، في حين بقي هو في مكانه.

مشيا قليلًا، وفي منتصف الطريق وقفا ينظران إلى بعضهما، ثم التفتا إلى المحقق السري وهو يغادر المقهى، هو أيضًا بادلهم النظرات.. تحدث «محمود» وصديقه بعيونهما، ثم رجعا إليه.

قال له «محمود»: هل تريد أن ننتقم من هذه الحكومة الفاسدة التي أبعدتنا عن

الإسلام؟ وهل تريد حقًّا أن تعيش في عالم إسلامي حقيقي؟

رد المحقق مسرعًا: نعم، نعم، أريد ذلك..

قال له «محمود»: سوف تذهب إلى المكان الذي تجد فيه الشيء الذي تحتاج إليه، ولكن إذا أردت الذهاب معنا يجب أن تغمض عينيك.

وافق المحقق على طلبهما ثم ذهبوا.

ابتسم المحقق فرحًا بتحقيق هدفه.

بعد ذلك بأشهر، كانت الجماعة تريد القيام بأعمال إجرامية كثيرة، لكن الشرطة كانت تستطيع منعهم من ذلك في الوقت المناسب، وذلك بفضل المحقق السري الذي أصبح عضوًا في الجماعة، ولم يُكشف سرُّه.

مرت سنة، وأخيرًا جاء اليوم الذي كانت تنتظره الأم اليهودية وصديقتها المسلمة: لقد سمحت الحكومة المغربية والإسرائيلية للعائلات اليهودية المغربية بالعودة إلى بلدهم الأصلي.

كانت الفرحة تملأ قلب الأُمَّيْنِ، لأنهما أخيرًا سترى كل واحدة منهما ابنها الحقيقي بعد أربعين سنة من الفراق.

في الليلة قبل السفر، كانت «راشد» فرحة كثيرًا وتجمع ملابس السفر. قالت في نفسها: شكرًا يا إلهي أنك فتحت الطريق بيني وبين ابني لكي أذهب عنده.. ولكن كيف سأخبره بأنني والدته الحقيقية؟

دخلت ابنتها ورأتها فرحة: لماذا يا أمي تضحكين؟ لماذا أنت فرحة؟

أجابتها: لأننا أخيرًا سنرجع إلى بلدنا الحقيقي. ردت ابنتها بغضب: لكني لا أوافق على الذهاب إلى المغرب، لأن مواطنيه يكرهوننا، ونحن لدينا بلدنا هو دولة «إسرائيل»، وليس لنا بلد غيره.

قالت لها أمها: اخرسي يا «راحيل»، إن المغرب أرض أجدادنا، ولا أحد يستطيع أن يغير هذه الحقيقة. سوف أذهب إلى أرض أجدادي.. إذا أحببتِ، فتعالَي معي.

بل بالفعل في الليل التقى الرجل الغريب بـ«محمود» وأصدقائه في مكان آمن، بعيدًا عن عيون الناس، وكان رفقتَه رجل آخر.

وبعد قليل، قال لهم: اسمي «أبو عثمان» وهذا اسمه «أبو محسن».. نريد أن نحارب أعداء الإسلام والمسلمين، وهم من زجوا بشيخكم في السجن، ومعه أصدقاء هم منا. لأن شيخكم كان يريد أن يعيش في إسلام حقيقي، ولكن للأسف منعوه من ذلك. يجب أن نأخذ له حقه منهم.. إذا كنتم تريدون أن تنتقموا له من هؤلاء الكفار فنحن معكم. في الأسبوعِ المقبل سوف نذهب إلى اليمن –إن شاء الله–. يمكنكم أن تذهبوا معنا، لكي تتعلموا كيف تحاربون أهل الكفر بالسلاح.

أجابه «محمود»: نعم، نريد أن ننتقم من كل من أسهم في إدخال شيخنا للسجن، لكننا نحتاج إلى الوقت لكي نخبر عائلاتنا بأمر السفر. لا يمكن أن نقول لهم أننا نريد الذهاب إلى اليمن لكي نحارب أعداء الإسلام، بل سنخبرهم أننا سنسافر من أجل العمل. فقال «أبو محسن»: خذوا وقتكم لكي تفكروا.. يجب أن تشجعكم عائلاتكم على الذهاب من أجل العمل.. لكن أنتم في الحقيقة ذاهبون من أجل الجهاد في سبيل الله ورسوله.. لكن معكم حق، نعم، لا يجب أن تخبروهم بالحقيقة، من الأفضل ألا تفعلوا.

تبادل «محمود» وأصدقاؤه النظرات.

وبعد عدة أيام، كان «محمود» وأصدقاؤه في المقهى، حين رأوا شخصًا أوروبيًّا عمل حادثًا بسيارته مع بائع متجول كان يبيع الفواكه بالشارع، مما أوقع الفواكه على الأرض.. تحدث معه وطلب منه أن يعطيه شيئًا تعويضًا عن الفواكه التي وقعت بسببه، لكنه رفض ذلك، فتشاجرا.. استمر الأصدقاء في مراقبتهما.. بعد قليل جاء شرطي عند البائع المتجول، وقال له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لماذا تتشاجران؟ ثم تحدث الأجنبي مع الشرطي قليلًا. بعدها قال له الشرطي: تفضل

بالذهاب يا سيدي، أجابه: شكرًا. ثم ذهب. نظر البائع إلى الشرطي، الذي لم يقف إلى جانبه، رغم أنه على حق.

قال له فقط: اجمع فواكهك من على الأرض.

وهذا أغضب الأصدقاء. عندما غادر الشرطي، بسرعة اقتربوا من البائع كي يساعدوه.

تبادلوا النظرات.. لقد قرروا أن يوافقوا على طلب «أبي عثمان»، لكن دون أن يخبروا عائلاتهم بحقيقة سبب ذهابهم.

قالوا لهم: نريد أن نذهب إلى «ليبيا» من أجل العمل.

في يوم السفر التقى الأصدقاء «أبا عثمان» و«أبا محسن» في المطار.

قال «أبو عثمان»: راض عنكم الله اليوم، لأنكم تريدون أن تحاربوا في سبيله.. مبروك عليكم سوف تذهبون إلى الجنة –إن شاء الله–.

ركبوا الطائرة.

في اليوم التالي سافرت الأسرة إلى المغرب.

في ذلك الوقت بالمغرب كانت الأم المسلمة قد سمعت خبر أن عائلة صديقتها اليهودية سوف ترجع إلى المغرب. ففرحت كثيرًا، لأن ابنها الحقيقي أخيرًا سيرجع إليها، وحتى أنها سترى صديقتها بعد كل هذه السنين التي لم ترها فيها.

أول شيء قامت به هو ذهابها إلى بيت صديقتها القديم، لكي تحضره من أجل أن يستقبل العائلة اليهودية. كانت برفقتها ابنتها. وعندما كانتا هناك قالت الابنة: يا والدتي لماذا نحن هنا بمنزل أناس غرباء؟ ربما هم لا يريدون ذلك؟ لا يريدون أن يرونا؟.. وسيغضب «محمود» بسبب ذلك.. وأنت لا تعرفين هل صديقتك على قيد الحياة أم توفيت.

فأجابتها: لا، لا، بل صديقتي على قيد الحياة، لأنها وعدتني أنها ستعود في يوم ما.. وأما «محمود» فسيغير فكرته عنهم عندما يلتقي بهم –إن شاء الله– يا «حليمة».

في يوم اللقاء، لم يكن «محمود» بمنزل العائلة المسلم. كان في انتظار الأسرة اليهودية كل من الأسرة وابنتها «حليمة» وبعض الجيران القدامى. كانت «حليمة» تحمل طبقًا عليه التمر والحليب.

جاءت الأسرة اليهودية بالسيارة وفرح الجيران بقدومها.

نزلت العائلة من السيارة وسارع الناس يسلمون عليهم إلا «راحيل»، لم تكن تريد أن تسلم على جيرانهم من المسلمين.

أما أمها فكانت تبحث عن صديقتها المسلمة، وأخيرًا جمع القدر بين الصديقتين. نظرتا إلى بعضهما.. قالت «راشد» فرحة: يا «رحمة»!!!

ردت عليها «رحمة»: يا «راشد»!!! (اقتربتا من بعضهما، وحضنا بعضهما) قالت الأم «راشد»: اشتقت إليك يا أختي (الكل صار ينظر إلى الأم اليهودية وصديقتها المسلمة في ذلك الوقت) حتى الفنان اليهودي المسلم الأصل، كان ينظر إلى أمه اليهودية والأم المسلمة باستغراب، فاقترب منهما ماشيا بمساعدة عكازين.

وحين رأت «رحمة» ابنها الحقيقي كان قلبها ينبض بسرعة.. قالت للأم اليهودية بعينيها: هل هذا هو ابني؟

أجابتها بعينيها: نعم، ابنك.

ثم حضنت الأم المسلمة ابنها بدون تفكير.

تفاجأ الفنان من تصرفها، ولم يكن يعرف أن هذه المرأة هي والدته الحقيقية.. حتى ابنتها تفاجأت، فنظر إلى أمه اليهودية..

كانت الأم اليهودية متوترة.. قالت: يا بني هذه هي صديقتي «رحمة» التي تحدثت معك عنها.. يا «رحمة» هذا هو ابني «جاد».

انتبهت الأم «رحمة» وابتعدت عنه. اقتربت ابنتها كي تسلم عليهما، فقالت: هذه هي ابنتي «حليمة».

في ذلك الوقت كانت الجماعة قد علمت أن يهودًا مغاربة قد أتوا، ولهذا كان أعضاؤها غاضبين.

قال «محمود» غاضبًا: مستحيل أن نترك أهالينا يسكنون جنب اليهود.. يجب أن نخرجهم من هذه الأرض، لأنها للمسلمين فقط.

فجأة سمعوا طرقًا على الباب، أخذ أحدهم سلاحًا، ثم اقترب من الباب وهو يسأل: من بالباب؟

كان «أبو عثمان».. فرح أعضاء الجماعة بقدوم «أبي عثمان».. أما المحقق السري فكان يتساءل من هذا؟

نظر «أبو عثمان» إلى المحقق السري، وقال: كبرت الجماعة، لأن كثيرًا من الناس انضموا إليها.. -رضي الله عنكم-، ولكنكم تبدون غاضبين، لماذا أنتم غاضبون؟

أجابه «محمود»: نعم، يا شيخنا، نحن غاضبون بسبب قدوم اليهود إلى المغرب قادمين من فلسطين، حيث العدو يقتل أهالينا هناك.

قال «أبو عثمان»: نعم، قدومهم مزعج.. لكن قبل أن نقوم بأي عمل، يجب أن نفكر فيه جيدًا.. ضحك. وابتسم «محمود»، أما المحقق السري فقد كان متوترًا وينتظر بفارغ الصبر الفرصة المناسبة لكي يخبر أصدقاءه بأمر «أبو عثمان».

كانت الأم المسلمة «رحمة» تتحدث مع صديقتها اليهودية «راشد» في بيتها وهي حزينة، قالت: شكرًا جزيلًا لك يا أختي، لأنك لم تتخلي عن ابني، رغم أنه ليس من الواجب عليك ذلك. وسامحيني لأنني السبب في بقاء ابنك بعيدًا عنك.

ردت عليها الأم اليهودية: لا، لا، بل واجب عليّ، لقد صار «جاد» ابني، كما صار «محمود» ابنك أنت. لا يجب أن نشكر بعضنا، لأن لكل واحدة منا حقًّا فيهما.

قالت الأم المسلمة: أنت محقة يا أختي «راشد»، إنهما الاثنان أبناؤنا معًا. أنا أتساءل: هل نخبرهما بحقيقة الأمر، أم أن الحقيقة ستقضي عليهما؟ ومن الأفضل أن نحفظ هذا السر المُرَّ إلى الأبد؟

نظرت كلتاهما لبعضهما.. فجأة دخل «محمود».. إلى المنزل.. رأى الأم اليهودية، فتعصب لرؤيتها. أما هي فقد كان قلبها يخفق بشدة، لأنها ترى ابنها لأول مرة.

حاولت أن تسلم عليه، لكنه منعها من ذلك، ثم ذهب إلى غرفته.

فنظرت إلى صديقتها المسلمة التي لم تكن تستطيع أن تحدثها عما يفعله «محمود».

قام «محمود» بالنداء على والدته.. فذهبت إليه في غرفته.

كان «محمود» غاضبًا جدًّا: –ماذا تريد يا ابني؟ لماذا لم تُرد أن تسلم على السيدة؟ رد عليها بغضب: إنها كافرة.. ولكن يا أمي لماذا أدخلتِها بيتنا، رغم أني قلت لكم قبل سفري: لا تقتربوا منهم، ولا تعطوهم ولو كوب ماء، لأنهم كفار؟

فقالت أمه: أ رجوك يا بني، اخفض صوتك.. ستسمعك.

قال بصوت عالٍ: اتركيها تسمعني.. أنا أريد ذلك. سوف أقول لها أن هـذه الأرض للمسـلمين، كمـا القـدس الـتي يعـذبون فيهـا إخواننـا الفلسطينيين هي لنا.. أرضنا لنا –نحن المسلمين فقط–، وليست لأي دين آخر غير الإسلام.

سمعوا الباب يُغلق: كانت الأم اليهودية قد خرجت من البيت وعيناها مليئة بالدموع.

بعد عـدة أشـهر، كانـت الحيـاة متـوترة بـين «محمـود» وعائلته الحقيقيـة بسبب اختلاف الأفكار.

وذات يـوم كانـت «راحيـل» وأختهـا الصـغيرة ذاهبتـين إلى السـوق رفقـة بنات الأم المسلمة، رغم أن «راحيل» لم تكن تريد ذلك، لكن والدتها أجبرتها على الخروج معهم.

وعنـدما كـن راجعـات إلى بيـوتهن، رآهـم «محمـود» فغضـب مـن الأمـر، فأوقفهم، وقال لشقيقاته: أين كنتن؟

أجبنه: كنا في السوق، لأن السيدة «يافيت» كانت تريد أن تشتري شيئًا من السوق.

قال بغضب: لماذا خرجتن معهن؟ ألم أمنعكن من ذلك؟ ألم أقل لكن لا تقتربن من هؤلاء الناس؟

كانت «راحيل» تسمع، فقاطعت «محمودًا» قائلة: لماذا؟ لماذا منعت أسرتك من التحدث معنا؟

رد عليها «محمود»: لا أتحدث مع امرأة لا ترتدي الحجاب. يجب أن تحترمونا ما دمتم هنا.

قالت: من أنت؟

ذهب «محمود»، رغم أن «راحيل» كانت تتحدث معه، وتبعته شقيقاته.

في ذلك الوقت، كان «جاد» يجمع ملابسه ليذهب إلى «فاس» من أجل أن يشارك في المهرجان الفني، وكان معه «شمعون».

قال «شمعون»: لماذا تريد أن تذهب إلى هذا المهرجان؟ أجابه «جاد»: لأني أريد أن أتعرف على الثقافة المغربية المتنوعة.. هناك ثقافة إسلامية، وثقافة يهودية، وأخرى أندلسية، وأمازيغية، وصحراوية أيضًا.

فجأة سمعا «راحيل» تتكلم بصوت عال.. فذهبا ليريا ماذا هناك.

كانت «راحيل» تحكي لأمها عما فعله «محمود» معها هي وأختها.

قالت الأم: لا يا «راحيل»، لا تكرهي «محمودًا» لأنه مثل أخيك، ربما لم تفهميه.

لا، ليس أخي، هو قصد أن يجرحنا، يا أمي لن أسامحه، لأنه ابن صديقتك، لا، مستحيل.

جاء «جاد» و«شمعون» وقالا لـ«راحيل»: هل لديك مشكل يا «راحيل»؟

فأخبرتهم بما حدث، فأراد «جاد» و«شمعون» الذهاب عند «محمود» ليسألوه لماذا تعامل مع «راحيل» و«يافيت» بهذه الطريقة؟

لكن الأم اليهودية منعتهم، لأنها كانت تخشى أن يتشاجرا مع «محمود».

فقال «جاد»: لا تخشي شيئًا من ذهابنا، لأننا نريد فقط أن نذهب عند الرجل الذي اسمه «محمود» لكي نتعرف عليه.. يمكنك مرافقتنا.

اطمأن قلب الأم اليهودية.

بعد ساعة..

كـان في الطريـق إلى بيـت العائلـة المسـلمة كـلٌّ مـن: الأم اليهوديـة، و«جاد»، و«شمعون».. في تلك الأثناء كان «محمود» يعاقب أخواته، لأنهن خرجن مع الأخوات اليهوديات اللواتي هن شقيقاته الحقيقيات.

وصلت العائلة اليهودية أمام منزل العائلة المسلمة، وحين علم «محمود» بالأمر غضب، وحمل سلاحًا أبيضَ، ثم توجه إلى الباب وخرج.

قال له «جاد»: صباح الخير يا سيدي «محمود»، أنا اسمي «جاد»، من اليهود المغاربة الذين كانوا مقيمين بدولة «إسرائيل».

قال «محمود» بغضب: طيب، ماذا تريدون؟

أجابه «جاد»: لقد أتينا إلى بيتكم لكي نعرف الأسباب الحقيقية وراء تعاملك مع شقيقتي، لأنهن خرجن رفقة أخواتك؟

توجه «محمود» بسكينه نحو «جاد»، تفاجأت الأم اليهودية وكذلك «شمعون».

قال «محمود»: أريد من عائلتكم أن تبتعد عن عائلتي.. إذا اقتربتم من عائلتي لن أرحمكم.

غضب «شمعون» و«جاد»، أما الأم اليهودية فقد وقفت بين «محمود» و«جاد»، لأنها كانت تخشى أن يضربه «محمود» بالسكين.

فخرجت «حليمة» لكي تُدخِل «محمود»، فرآها «شمعون». ثم قادت الأم اليهودية «جادًا» و«شمعون» إلى منزلهم وهي حزينة، لأنها وقفت ضد ابنها الذي تنتظر رجوعه إلى حضنها طوال عمرها، هو أيضًا توجه إليها بالسلاح دون أن يعرف أنها والدته الحقيقية.

وبعدها أراد «شمعون» و«جاد» أن يخبرا الشرطة بما وقع، لكن الأم اليهودية «راشد» لم توافق.

بالفعل استطاعت إقناعهما بالتراجع عن موضوع الذهاب إلى الشرطة، فتراجعا، شريطة أن تبتعد عن صديقتها المسلمة وأسرتها، لم توافق «راشد» أول الأمر على طلبهم، ولكن في الأخير رضخت من أجل ألا يحدث مكروه لـ«محمود».

مرت الأيام تلوَ الأيام.. كانت نفسية كل من الأم اليهودية والأم المسلمة صعبة، لأنهما لا تستطيعان الاقتراب من ابنيهما. ومن ناحية أخرى كانت الجماعة مستمرة في أفعالها الإجرامية ضد أمن الوطن

وسلامته، وبالمقابل كانت الشرطة في انتظار اليوم الذي تقضي فيه عليها.

وذات يوم جاء المحقق السري إلى مركز الشرطة لكي يخبرهم بمعلومات جديدة.. قال: لقد صارت الجماعة خطيرة جدًّا بسبب قدوم «أبي عثمان» إليها، وأنا بدأت أخاف على نفسي وعلى أسرتي. إذا عرفوا حقيقتي من الممكن أن يقتلوني أو أحد أفراد أسرتي.

ردت عليه المحققة: لا داعي للخوف يا «مصطفى» لأننا قبل أن يعرفوا من أنت حقيقة، سنكون قد قضينا عليهم، لهذا يجب أن نكون مستعدين لذلك اليوم.

في ذلك الوقت كان «شمعون» يتبع «حليمة» أينما ذهبت؛ يبدو أنه أحبها.

وفي أحد الأيام، كانت «حليمة» قد لاحظت أن «شمعون» يتعقبها طوال اليوم، فوقفت ثم نظرت إليه واقتربت منه، رآها.

قالت له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لماذا تبعتني طوال اليوم؟ أما تعلم أن أهالينا ممنوع عليهم الاقتراب من بعضهم البعض.

رد عليها «شمعون»: نعم، للأسف الشديد، بسبب ما فعله أخيك «محمود»، ولكن ذلك ليس موضوعنا الآن.. أنتِ إنسانة طيبة وفي الحقيقة أنا معجب بشخصيتك.. هل من الممكن أن نتعرف على بعضنا أكثر؟

قاطعته قائلة: مستحيل هذا الشيء الذي تفكر فيه، لأني مسلمة وأنت يهودي، وأفكارنا مختلفة.

فقال: نعم للأسف، هل يمكننا أن نلتقي كأصدقاء؟

بدأت «حليمة» تفكر في طلب «شمعون».

وبعد عدة أيام وافقت على طلبه. وبالفعل التقوا ببعضهما في أحد الأيام.

حينها قالت له: التقيتك اليوم لكيلا تفكر بأن المسلمين يكرهون العيش المشترك معكم. لا، لا، لا، بل إن الدين الإسلامي يدعو إلى السلم والأمن في العالم.. ربما كان أخي متوترًا في ذلك اليوم.

رد عليها «شمعون»: نعم، لكني لا أريد التحدث في ذلك الموضوع.

فقالت له: يا سيدي يمكن أن نكون أصدقاء فقط، مستحيل أن يكون شيء آخر بيننا، لأننا لسنا من دين واحد، وحتى أفكارنا مختلفة.. صعب أن نكون أسرة.

قال لها: حسنًا، للأسف الشديد لا يمكن أن نكون مع بعضنا، ولكن مرحبًا بصداقتك.

سلما على بعضهما باليد. لسوء الحظ قدم صديق «محمود» إلى المقهى الذي كان فيه كلٌّ من «شمعون» و«حليمة». رآهما، وتساءل: لماذا «حليمة» في المقهى مع هذا؟ ظل يراقبهما من بعيد.

في الليل، كان صديق «محمود» في إقامة الجماعة يفكر. فجاء «أبو عثمان» فرآه. قال له: لماذا تفكر يا «أبا أشرف»؟

فأخبره بما رآه في المقهى وأنه رأى «حليمة» مع «شمعون».

وبعدها أضاف: وأنا لا أعرف، أيجب أن أخبر أخي «محمودًا» بالأمر أم لا؟

رد عليه «أبو عثمان»: طيب، مؤكد أن ذلك اليهودي لديه هدف من اللقاء بأخت «محمود»، بل جميع اليهود لديهم هدف من قدومهم إلى المغرب.

لا يجب أن تخبر «محمودًا» الآن بالأمر، بل يجب أن نرسل إليهما من يراقبهما.

قال «أبو أشرف»: حسنًا يا سيدي.. هل نرسل لهم «صالحًا»؟

أجابه «أبو عثمان»: لا ليس «صالحًا» بل رجلًا آخر، فـ«صالح» هو أيضًا يجب أن نحترس منه، لأنه ربما لديه سر لا نعرفه.

مرت الأيام، وأصبح «شمعون» و«حليمة» يلتقيان ببعضهما بشكل دائم، وكانت «حليمة» تساعده في عمله أيضًا.. كان أحد أفراد الجماعة يراقبهما من بعيد بشكل دائم.

قرر «أبو عثمان» أن يخبر «محمودًا» بأمر «حليمة» و«شمعون».

وفي ليلة من الليالي، جاء «محمود» رفقة «أبي أشرف» إلى الغرفة التي كان فيها «أبو عثمان».

قال «محمود»: بماذا سنتحدث؟ هل هناك أي مشكل؟

أجابه «أبو عثمان»: نعم: يوجد مشكل، إن هؤلاء الكفار بدؤوا يقومون بأعمال قبيحة ضد المسلمين والمسلمات.

سأل «محمود» غاضبًا: ماذا فعلوا؟

أعطى «أبو عثمان» صور «حليمة» و«شمعون» لـ«محمود».

لما رآها «محمود» غضب جدًّا من تواجد أخته مع «شمعون».

أراد أن يخرج ولكنَّ «أبا عثمان» أوقفه قائلًا له: يجب عليك أن تتحكم في نفسك قليلًا، وإذا تحركت دون تفكير سوف تقع في يد الأمن.. أولًا يجب علينا أن نضع خطة للقضاء على جميع اليهود الذين أتوا إلى المغرب من أجل القضاء على الدين الإسلامي.. ولكن هذه الخطة يجب أن نتركها سرًّا بيننا.. لا داعي لأن نخبر بها بقية الأعضاء في هذا الوقت، سنخبرهم في الوقت المناسب.

قال «أبو أشرف»: جيد.. ولكن يا سيدي لماذا لا نخبرهم الآن؟ هل يمكن أن يغدر بنا أحد منهم؟

رد عليه: اصبر يا «أبو أشرف»، مع الأيام سنعرف من هو صديقنا، ومن هو عدونا..

بعد عدة أشهر، ما زال التوتر مستمرًا بين العائلتين، وبالمقابل استمرت الصداقة بين «حليمة» و«شمعون»، كانا يتعاونان في عملهما.. كل هذا بالسر. كان «محمود» على علم بالأمر، ولكنه لا يستطيع أن يمنعهما،

لأنه أعطى وعدًا لـ«أبي عثمان»، كما أنهم كانوا يخططون للقضاء على اليهود.

كان «أبو عثمان» قد أرسل رجلًا يراقب المحقق السري أيضًا.

وذات يوم، التقى المحقق بمحقق آخر، فرآهما الرجل المكلف بمراقبته، وتأكد من أن الر جل الآخر شرطي بزي مدني.

في ذلك الوقت كان «جاد» يبحث في الموسيقى اليهودية المغربية.

في ليلة من الليالي كان الرجل يخبر «أبا عثمان» بأنه رأى «صالحًا» يتحدث مع شرطي. حينها صاح «أبو عثمان» قائلًا: ماذا؟ قلت إنك رأيت «صالحًا» يتحدث مع شرطي؟ لماذا كنت مع الشرطي يا «صالح»؟! يا «كريم».. يجب أن تستمر في مراقبته بالليل والنهار، يعني كل الوقت، لا تغفل عنه.. ولا يجب أن يكون معك أي رجل آخر.

رد «كريم»: حسنًا يا سيدي.

مرت عدة أشهر..

عرف «أبو عثمان» حقيقة «صالح»: إنه محقق سري مندسّ بينهم، من أجل مراقبتهم.

وفي إحدى الليالي، رجع «مصطفى» إلى بيته كعادته كل ليلة، فتحت له زوجته الباب كعادتها، ولكن هذه المرة رأى زوجته ليست على طبيعتها، ثم لاحظ وجود رجل غريب في منزله يحمل سلاحًا ناريًّا.

فعرف «مصطفى» أن ذلك الرجل من رجال الجماعة، وأنهم قد كشفوا أمره.

فتساءل: لماذا هو ببيتي؟ هل عرفوا حقيقتي؟ كان متوترًا.

قاده الرجل إلى غرفة كان «أبو عثمان» موجودًا بها. تفاجأ «مصطفى» من رؤية «أبي عثمان». قال: هذا الخير، أهلا بك.. لماذا لم تخبرنا أن لديك أسرةً جميلة يا «مصطفى»؟

رد «مصطفى» متوترًا: من «مصطفى»؟ يا سيدي «أبا عثمان»؟ اسمي «صالح». وبالنسبة لأسرتي، كنت أظن أنه لا داعي لتعرفوا ذلك.

اقترب منه «أبو عثمان».. ثم قال له: طيب لماذا أنت متوتر؟

رد «مصطفى»: لا، لا، لست متوترًا.

قال «أبو عثمان»؟ طيب.. هل عملك في الشرطة كمحقق سري.. هو أيضًا لا داعي لنعرفه؟ انضممت لجماعتنا من أجل أن تقضوا علينا.

نظر «مصطفى» إلى الخزانة التي فيها سلاحه، ثم اقترب منها بخفة هو يقول: لا أعمل مع الشرطة.. ثم بسرعة أخذ سلاحه ورفعه في وجه «أبي عثمان» وهو يقول: هيا ارفعوا أسلحتكم، وسلموا أنفسكم للشرطة.

ضحك «أبو عثمان» ونظر إلى «كريم»، كانت زوجة «مصطفى» تقترب منه من الخلف، ولكن «كريمًا» التفت إليها وضربها بالسلاح، فوقعت على الأرض، وفي الحين توفيت.

صرخ «مصطفى» بقوة بصوت عال: لماذا قتلتموها؟

أجابه «أبو عثمان» ببرود: لأنها كافرة، رغم أنها تتحدث على أمها مسلمة.

قال «مصطفى» بغضب: لا تتكلم عن الإسلام، لأنه بريء من إجرامكم، الإسلام هو دين التسامح، هو العيش بأمن وسلام.

جاءت طفلة «مصطفى» الصغيرة فجأة وهي تنادي على أمها وأبيها. رآها «مصطفى» ومنعها من رؤية أمها ميتة. حضن طفلته وعيونه مليئة بالدموع.

فقالت له: لماذا تبكي يا أبي؟

من هؤلاء الناس؟ أين أمي؟

رد عليها «مصطفى»: لا أبكي يا عزيزتي، أمك ذهبت إلى بيت جدتك.

اقترب «أبو عثمان» منهما.. لاحظا وجوده. قال لـ«مصطفى»: هيا بنا.. هل تريد أن تذهب معنا ابنتك «غزلان»؟

رد «مصطفى»: لا، لا.. ستبقى هنا. اتركني آخذها إلى غرفتها ثم نذهب.. هيا بنا إلى غرفة نومك يا عزيزتي.

ذهب «مصطفى» حاملًا طفلته بين ذراعيه.. دخل معها إلى الغرفة ووضعها في سريرها.

فقالت له الطفلة: لماذا يا أبي لم تأخذني معها أمي إلى بيت جدتي؟

رد عليها: في المرة القادمة ستذهبين معها، لكن الآن حان الوقت لكي تنامي.. تصبحين على خير.

لقد نامت الطفلة.. أما «مصطفى» فنظر إليها مطولًا: لم يكن يعرف هل سيرى طفلته مرة أخر ى أم لا.

خرج من الغرفة ثم أغلق الباب بالمفتاح.. وانفجر باكيًا. رآه «أبو عثمان» فقال له ساخرًا: هيا فلنذهب.. أنت تبكي مثل النساء.. هيا..

غادروا المنزل.

في أثناء ذلك كان «محمود» يراقب «حليمة» و«شمعون» وهما يخرجان من عملهما، ثم يركبان السيارة ويرحلان.

في اليوم التالي جاءت المساعدة المنزلية إلى بيت «مصطفى» كعادتها كل صباح.. تساءلت: ألا يوجد أحد في البيت؟

لاحظت وجود دم كثير يخرج من غرفة المعيشة.. تبعته حتى وصلت إلى سيدتها المقتولة.. فصرخت بصوت عال ثم انفجرت بالبكاء، فسمعت صوت الطفلة وهي تصرخ.

ذهبت إلى غرفة الطفلة.. حاولت فتحها ولكنها كانت مغلقة.. رأت المفتاح فوق المائدة فأخذته وفتحت الباب.

كانت الطفلة تبكي. قالت لها يا بنتي «غزلان» أين أبوك السيد «مصطفى»؟

أجابتها: يا خالتي «السعدية»، ذهبت أمي إلى بيت جدتي، ولا أعرف أين ذهب أبي رفقة رجال لا أعرفهم، ولم أ رهم من قبل.

حملت العاملة الطفلة بين ذراعيها، ثم قصدت محفظتها لكي تتصل بالشرطة.

في الحين امتلأ المنزل بالشرط. أما الطفلة فكانت تنظر، ولم تكن تفهم ماذا يحدث حولها. كانت فقط تسال: أين أمي؟ أين أبي؟ متى يعودان؟

و«السعدية» لم يكن لديها جواب على أي سؤال من أسألتها. فقط ابتسمت للطفلة، ووراء هذه الابتسامة الكثير من الألم.

كان أفراد الشرطة يتحدثون مع بعضهم البعض.. قال أحدهم: لقد سألنا الطفلة وقالت إنها رأت أباها بالأمس يغادر المنزل، رفقة رجال غرباء.

قال رئيس الشرطة: حسنًا، ربما الزوج المفقود هو المحقق السري الذي يعمل بمديرية مكافحة الإرهاب.

ردت عليه المحققة: نعم يا سيدي، هو بالفعل محقق سري، وهو في مهمة سرية.

قال الرئيس: يجب أن نخبر المديرية بما وقع.

جاء والدا الزوجة.. كانت الأم تبكي، أما الأب فكان يبدو عليه الغضب والحزن العميق.. رأتهم الطفلة «غزلان» ثم نادت عليهما، فاقتربا منها ومن «السعدية».

قالت أم الزوجة: ماذا حدث يا ابنتي «السعدية»؟

ردت عليها «السعدية» بحزن: لا أعلم ما الذي حدث هنا بالأمس يا سيدتي؟ في الصباح أتيت كعادتي لكني تفاجأت برؤية سيدتي «شيماء» مقتولة.

بدأت «السعدية» تبكي.. وكذلك الجدان، فنظرت إليهما الطفلة، وسألت جديها: لماذا لم تأتِ معكما أمي؟ أين أمي؟ أريد أمي.

كانوا ينظرون إليها، ولا يعرفون بماذا سيردون عليها.

قال الجد: لمَ تبكين يا عزيزتي؟ ستأتي أمك بعد قليل.

اقترب منهم رئيس الشرطة، رآه الجد، فقال له: من المجرم الذي قتل ابنتي؟ أريدك ألا ترحمه.

أجابه الرئيس قائلًا: أولًا أقدم التعازي الحارة لكم.. مع الأسف الشديد إلى الآن لا نعرف من هم المجرمون.. لكن أكيد سنعرفهم، وأعدكم لن

نرحمهم.. يبدو أنهم لم يدخلوا المنزل من أجل السرقة، بل كان لديهم هدف آخر.. هل تواصل معكم زوج ابنتكم؟

رد الجد: شكرًا لكم.. لا لم يتواصل معنا.

نظر الرئيس للطفلة «غزلان» وقال: حسنًا. من الأفضل أن تذهب الطفلة من هنا لأننا سنخرج السيدة.

ذهبت السعدية بـ«غزلان» إلى غرفتها.

كان «مصطفى» مسجونًا في غرفة سرية.. سمع الباب يفتح: لقد أتى كل من «محمود» و«أبي أشرف» و«أبي عثمان».

تفاجأ كل من «محمود» و«أبي أشرف» لما رأوا «مصطفى» مسجونًا، سأل «محمود»: لماذا «صالح» مسجون؟

رد عليه «أبو عثمان»: هو في المكان المناسب له ولكل خائن، هو هنا لأنه كاذب وغدار.. هو خائن.

قال «محمود»: لم أفهم، ماذا فعل «صالح»؟

ضحك «أبو عثمان» ورد على «محمود»: من «صالح»؟ لا أحد هنا اسمه «صالح».. هذا الرجل اسمه الحقيقي هو: «مصطفى»، أقدم لكم

المحقق «مصطفى»، من قسم مكافحة الإرهاب.. انتمى لجماعتنا لكي يقضي علينا.

كان «أبو عثمان» يخبرهم حقيقة «مصطفى».. فغضب «محمود» وأخرج مسدسه: وقال لـ«مصطفى»: هل صحيح أنك محقق سري؟ سأقتلك.. أدخلناك معنا مثل أخ لنا، وثقنا فيك!

رد عليه «مصطفى»: هيا أقتلني، أنتم تعلمون أن الشرطة سوف تقضي عليكم.. سوف تقضي على هذه الجماعة اليوم أو غدًا.

فقال «أبو عثمان» لـ«محمود»: لا داعي لأن تتعب نفسك معه، لأنني أريد أن أعاقبه بنفسي.. أترك قوتك لتلك المهمة..

أجابه: حسنًا يا سيدي.

ثم غادروا الغرفة. قال «مصطفى» في نفسه: ماهي هذه المهمة التي يتحدثون عنها؟ يجب أن أخرج من هنا قبل أن يقتلوا أناسًا بريئين مثل زوجتي..

وحاول أن يفك رباط يديه.

وضع رئيس مديرية محاربة الإرهاب سماعة الهاتف، فبدا عليه أنه متوتر بسبب المكالمة الهاتفية التي تلقاها من زميل له.

اتصل بمساعدة المكتب، وقال لها: أخبري المحققين أن الاجتماع بعد ساعة.

بعد ساعة كان الرئيس يترأس الاجتماع.

سألهم: هل لديكم أي خبر عن «مصطفى»؟ هل اتصل بأحد منكم اليوم؟

أجابه أحدهم: لا، لم يتصل.

فقال الرئيس بغضب: ليس لديكم خبر عنه؟ ولكن أنا لدي خبر عنه: للأسف الشديد، فقد وجدت الشرطة زوجته مقتولة في بيتهم، ولم تعثر على «مصطفى» حتى الساعة، ولا حتى استطاعت التواصل معه.

قال المحققون: الله أكبر، رحمها الله.

فرد عليهم: لا داعي للدموع ولا للحزن، ما يجب أن نفعله بدل ذلك هو إيقاف المجرمين الذين قتلوها..

هل يمكن أن يكون لقضيتنا علاقة بقتلها؟ لديكم يومان كي تأتوني بكل أعضاء الجماعة.

غادر الرئيس مقر الاجتماع، أما المحققون فكانوا ينظرون إلى بعضهم.

قال أحدهم: السيد «رضوان» لديه حق.. يجب أن نقبض على تلك المجموعة اللعينة في أقل من أسبوع..

في ذلك الوقت كان «محمود» و«أبو أشرف» وبعض الرجال الآخرين حول مائدة مملوءة بالسلاح، والذي كل أحد منهم سلاحه الخاص.

كان «مصطفى» في الغرفة وكان معه أحد أتباع الجماعة..

نظر إلى «مصطفى» كأنه يريد التحدث إليه. خلع ذلك الشخص الوشاح من وجه «مصطفى» وسأله: ماذا تريد؟

قال «مصطفى»: أريدك أن تخرجني من هنا، لكي أمنع «محمودًا» وأصدقاءه قبل أن يقتلوا أناسًا بريئين.

رد عليه: لا داعي للمحاولة معي، لأني من المستحيل أن أخرجك من هنا.. وهؤلاء الناس ليسوا بريئين، يجب أن يموتوا لأنهم كفار.

قال «مصطفى» بكل حرقة: ليس هذا هو الإسلام الحقيقي، الإسلام دين التسامح مع كل الأديان. ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يكن يدخل بيوت الناس لكي ينشر الرعب ويخيف الأطفال مثل جماعتكم.

فقال الشخص بغضب: اخرس، توقف عن الكذب على جماعتنا، لأنها لا تقوم بهذه الأعمال القبيحة التي قلت عنها.

رد عليه «مصطفى»: أقسم بالله لا أكذب عليك، لأني من هؤلاء الناس الذين دخلوا بيوتهم.. لقد دخل «أبو عثمان» بيتي، وقتل زوجتي هو ورجاله، وكانت ابنتي موجودة هناك.

نظر الرجل باستغراب إلى «مصطفى».. نزلت دمعة من عيني «مصطفى».

وبعد ساعة أخرج الر جل «مصطفى» من الغرفة سرًّا.. ركض «مصطفى» بسرعة، ولم يتوقف إلى أن وصل متجرًا قام منه بالاتصال بزميل له أخبره عن مكانه.

بعدها أخبر الزميلُ الرئيسَ، فأمر هذا الأخير أن يذهبوا من أجل جلب أفراد الجماعة كلهم.

في ذلك الوقت كان «محمود» قرب بيت العائلة اليهودية.. تطلّع في ساعته، ثم نظر إلى البيت.

بعد ساعتين كانت الشرطة في طريقها إلى إقامة الجماعة، وفي ذلك الوقت كان «أبو عثمان» غاضبًا بسبب هروب «مصطفى»، ولم يكن يعرف كيف استطاع الهروب.. لم يكن يعلم أن رجلهم هو من ساعده على الفرار، رغم ذلك كان «أبو عثمان» غاضبًا منه، لأنه لم يراقب «مصطفى» جيدًا، وحاول أن يعاقب ذلك الرجل، فسمعوا صوت سيارات الشرطة.

أخبرهم أحدهم بأن الشرطة قد أتت.. قال «أبو عثمان» بصوت مرتفع: لن نسمح لهم بأن يسجنونا.

حمل كل فرد من أفراد الجماعة سلاحه، وتهيأ للقتال.

أما الشرطة فقد حاصرت المكان. حاول بعض رجالها الدخول إلى الإقامة، لكن الجماعة أطلقت النار عليهم، وبدأت المواجهة بين الشرطة والجماعة، فأُصيب عدد من رجال الشرطة، وكذلك بعض أفراد الجماعة.

ولكـن في الأخير اسـتطاعت الشـرطة اقتحـام المكـان، وتوقيـف أعضـاء الجماعة كلهـم.. ككـل مـرة.. أي منظمـة تُـرِدْ أن تضـرب أمـن المغـرب، يكـنْ رجـال الأمـن لهـم بالمرصـاد، ويفشـلوا خططهـا الإجراميـة قبـل أن تنفذها.

لهذا يجب أن نشكر كل رجال الأمن ونساءهم، لأننا بفضلهم نعيش في بلدنا في أمن وسلام.

ولكـن الشـرطة لم تحتفـل بفوزهـا، لأنهـم لم يقبضـوا علـى «محمـود»، ولم يوقفوا المهمة التي يريد تنفيذها ضد العائلات اليهودية.

استمر «محمود» يراقب بيت العائلة اليهودية.. تطلّع في ساعته.. كانت تشير إلى العاشرة مساء.. قال «محمود»: حان الوقت لكي أبدأ التنفيذ.

اقترب من باب المنزل: كان يريد، للأسف الشديد، أن يقتل هذه العائلة بسبب الشر والأفكار الخاطئة التي لديه ولدى أصدقائه.

هذه الأسرة التي هي في الحقيقة أسرته.

فتحـت الأم اليهوديـة البـاب، وفرحـت لرؤيـة ابنهـا «محمـود»: لم تكـن تعرف سبب قدومه.

قالت له بكل الفرح والسرور: مرحبًا يا ابني «محمود»، تفضل، ادخل.

دخلت الأم اليهودية إلى بيتها ودخل «محمود» خلفها.

كانت تمشي و«محمود» خلفها.. انتزع سلاحه.. وصلوا غرفة المعيشة.. التفتت وراءها وتفاجأت.. إن ابنها يوجه سلاحه الناري إليها، يريد قتلها. كان «محمود» يريد قتل والدته الحقيقية، بسبب أفكاره الخاطئة. كان لا يدري أن من تقف أمامه هي أمه الحقيقية.

طوال عمرنا سمعنا عن كثير من حوادث الإجرام في العالم، ويكون ضحيتها كثير من الناس، مثلًا: تلك الجمعة المميتة بدولة «نيوزيلندا» حيث قتل مجرمٌ إرهابيٌّ كثيرًا من المصلين المسلمين بالمسجد.

وذلك اليوم الذي استيقظ فيه سكان «أومليل» على جريمة بشعة ذهب ضحيتها فتاتان أوروبيتان.

فليرحم الله جميع ضحايا الإرهاب كيفما كان دينهم.

عندما يريد أحد أن يقتل إنسانًا ما، لا يعرف من يكون هذا الشخص، ربما يكون من عائلته وهو لا يدري.

فهل من غير الممكن أن نعيش مع بعضنا، ولكل واحد منا دينه وأفكاره المختلفة؟

ليست فقط هذه الجماعة من لديها هذه الأفكار الخطيرة، بل هناك جيش الكفار، الذي يقتل كل يوم كثيرًا من المدنيين الفلسطينيين أمام أعين العالم دون أن يحرك ساكنًا.

استمر «محمود» يوجه سلاحه الناري إلى والدته.

قالت له باستغراب: يا ابني «محمود»، ماذا تريد أن تفعل؟ أنزل سلاحك، واتركنا نتحدث عن مشكلتك.

رد عليها: لا تقولي لي يا ابني، لأني أحتقر نفسي عندما أسمعها منك. نعرف سبب قدومكم إلى هنا: تريدون أن تخرجونا من ديننا..

قالت بسرعة: لا، لا، لا نريد شرًّا لإخواننا المسلمين، بل نريد أن نعيش معهم بأمن وسلام.

قال: توقفي عن الكذب، ماذا يعمل ابنك مع أختي؟ سننتقم منكم، ما الذي فعلتموه لمسلمي فلسطين؟

ردت عليه: صدقني لم نفعل شيئًا ضدهم، هم لديهم مشكلات مع الحكومة فقط، وليس لنا أية علاقة بها.

حاول «محمود» أن يضربها بالمسدس، فأتت أمه المسلمة: كانت تتحدث مع «راشد» عن «حليمة» و«شمعون».

لقد تفاجأت من «محمود»: إنه يحمل سلاحًا ويوجهه إلى صديقتها التي هي أمه الحقيقية.. فصرخت باسم «محمود»، وقالت بصوت عال: «محمود»! ماذا تريد أن تفعل؟

فقال لها بغضب: لماذا أنت هنا يا والدتي؟ هيا عودي للبيت. أنا يجب أن أقتل هذه العائلة، لأنها كافرة، وتريد أن تخرج أبناءنا من دينهم.

ردت عليه: لا لا، أرجوك توقف.. لا تستطع أن تقتل هذه العائلة، لأنها هي..

فصرخت الأم اليهودية: لا، لا يا «رحمة» اسكتي.

بعيونها دموع، نظر «محمود» إلى والدته «رحمة» ثم قال: ماذا يا والدتي؟

قالت الأم المسلمة «رحمة» وهي حزينة: سامحني يا ابني «محمود»، إن هذه السيدة هي والدتك الحقيقية.

ضحك «محمود» ولم يصدق كلامها، وقال لها: أمي توقفي عن الكذب، فإني سوف أقتل هذه الكافرة على كل حال.

ردت عليه بحزن: لا أكذب عليك، بل هذه هي الحقيقة.. إنك ابن هذه المرأة، و«جاد» هو ابني الحقيقي..

نظر إليها باستغراب.. فبدأت تخبره بالحقيقة كاملة، وكيف أن الأم اليهودية تركته لديها، في حين أخذت ابنها «جادًا» معها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل علاجه هناك، على أن تعود به إلى المغرب بعد ذلك، ولكنَّ القدر كان له كلام آخر.

في ذلك الوقت أتى «جاد» خلف الباب، وكان يستمع لكلام الأم المسلمة.

لقد عرف كل من «محمود» و«جاد» حقيقتيهما: كانا متفاجئين.. دخل «جاد» ورأوه، علموا أنه هو الآخر عرف الحقيقة.. قال: مستحيل!!

نظروا إلى بعضهم، وكل واحد منهم لا يعرف ماذا يقول.

كانت الأم المسلمة «رحمة»، والأم اليهودية «راشد» تبكيان. فاقترب منهما «جاد» ثم نظر إليهما.

أراد «محمود» أن يخرج، فمنعه «جاد» فضربه «محمود» بالسلاح.

صرخت كلتا الأمين: «جاد»، يا ابني «جاد»!، يا ابني «محمود»..

حاول «محمود» الفرار من البيت، لكن الشرطة كانت قد أتت في ذلك الوقت.

قال أحد أفراد الشرطة: سلم نفسك..

استسلم «محمود» للشرطة.. تابعت الأم «راشد» الشرطة، وهي تقبض على «محمود»: لم تصدق الأم اليهودية، أن ابنها الذي فقدته منذ ولادته، بعد لقائها به ستعود وتفقده مرة أخرى، بسبب الإرهاب الذي لا دين له ولا دولة.

ذهب «محمود» رفقة الشرطة إلى المكان الذي يستحقه كل مجرم: السجن.

فنظر إليها ثم جلس، وهي وأيضا جلست. قال: حسنًا، سنتحدث، ولكن لا تقولي لي أن تلك الكافرة هي والدتي.

ردت عليه: حسنًا، رغم أنه يجب أن نتحدث عن هذا الموضوع أيضًا، ولكن ليس مشكلًا.. كيف حالك؟ أنا أتألم داخليًّا من رؤيتك في السجن، لماذا وصلت إلى هذه الوضعية؟

أجابها: لأني أحارب من أجل الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–. فقاطعته قائلة: أرجوك لا تتحدث عن الإسلام، وعن رسول الله –عليه السلام–، لأنهم أبرياء من إجرامكم وأعمالكم الإرهابية. وليس دينكم هو الإسلام، بل دين آخر، لأن المسلمين حقًّا لا يدخلون بيوت جيرانهم من دين آخر من أجل قتلهم.. لا، لا.. بل يعيشون معهم في أمن واحترام.

قال لها: كنا نريد أن ننتقم من اليهود، لأنهم يستعمرون أرض فلسطين، التي هي للمسلمين في الأصل، والآن يريدون أن يحتلوا بلادنا المغرب.

ردت عليه: كلا، ليس هذا هو الموضوع.. ليس كما تظن، ليس لليهود المغاربة أي ذنب في قضية إخواننا الفلسطينيين، بل هم أيضًا هجّروهم من أرضهم إلى أرض أخرى. بل السبب هم الأوروبيون الذين هاجروا من أوروبا إلى أرض فلسطين واحتلوها، هم الذين لا يريدون أن يعم الأمن والسلام العالم. ولكن مع من أتحدث أنا الآن؟ أنت وأصدقاؤك أصبحتم مثلهم.. آسفة، ولكن عائلة صديقتي اليهودية «راشد» هي

عائلتك الحقيقة، يجب أن تتقبل هذه الحقيقة.. علينا مسؤولية أن نقول إن الدين الإسلامي دين التسامح مع كل الأديان. نظر «محمود» إلى والدته المسلمة وبقي صامتا.

بعد عشرة أيام، أتت الأم المسلمة إلى السجن لمقابلة «محمود»، لكنه لم يوافق على مقابلتها، لكنها أصرت على لقائه، وفي الأخير وافق.

خرج عندها وعيونه مليئة بالغضب. حاولت أن تسلم عليه لكنه منعها. بدأت تبكي فقال لها: لماذا جئتِ إلى هنا؟

أجابته جئت لأقبالك، عشرة أيام لم أرك فيها.. كيف حالك، وحال صحتك يا بني؟

رد عليها: منذ الآن لا تناديني يا بني لأني لست ابنكِ، انسيني، ولا تأتي لزيارتي، وأيضًا قولي لتلك الكافرة ألا تأتي.

فقالت: كيف أقول لها أن ابنها لا يريد مقابلتها.. إنها والدتك كيفما كان دينها.

حاول «محمود» أن يرجع إلى مكانه.

قالت: ظننت أن ابني «محمودًا» سيواجه الحقيقة بحكمة وتعقل.. لا تذهب.. ممكن أن نتحدث؟

أثناء ذلك ذهب «جاد» إلى المطار، يبدو عليه أنه يريد أن يسافر.. وقف قليلًا ثم دخل إلى المطار.

لقد ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت الأم اليهودية حزينة تنظر إلى صورة العائلة.. فسمعت طرقًا على الباب، فاقتربت منه لتعرف من.

فتحت الباب فوجدت صديقتها المسلمة.

تبادلتا النظرات، ثم حضنتا بعضهما، وانخرطتا في البكاء.

قالت الأم اليهودية: يا أختي «رحمة».. لقد ابتعد عنا أبناؤنا.

ردت عليها الأم المسلمة: نعم يا أختي «راشد».. كل هذا بسببي.

قالت الأم اليهودية: لا، لا، ليس أنت السبب بل القدر هو الذي أراد ذلك، وإذا رجع الزمن إلى الوراء، فسوف أذهب بـ«جاد» إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى، لأنه كان يحتاج إليّ كثيرًا، القرار ليس

قرارك وحدك، هو قراري أنا أيضًا. فأرجوكِ لا تقولي مثل هذا الكلام مرة أخرى.

ردت عليها «رحمة»: شكرًا جزيلًا لك يا اختي، لماذا توجد مثل هذه الأزمات بين الديانات والشعوب؟ ففي الأخير نحن نعبد إلها واحدًا، هو مالك هذا الكون كله، صحيح أن لكل منا دينَه ومذهبه المختلف عن الآخر، ولكن يجب أن نحترمها كلها، ولا نكون أعداء لبعضنا.. الدين الإسلامي ليس هو الذي تتبناه تلك المنظمة الإرهابية التي للأسف الشديد اتبعها «محمود»، بل لديها دين آخر، لأن الدين الإسلامي هو دين التسامح مع كل الأديان، ويدعو إلى العيش المشترك بسلام وأمن.

قالت الأم اليهودية بابتسامة: أعرف يا أختي.. لأن الجزء الأكبر من حياتي عشته هنا معكم، أنتم المسلمين، كانت الحياة معكم طيبة ومحترمة.

ذات يوم كان «محمود» في القسم الصحي بالسجن من أجل إجراء الفحص الطبي، كانت الطبيبة امرأة، لهذا لم يوافق «محمود» على أن تفحصه، لأنها امرأة.

تحدث إلى الموظف بالسجن قائلًا: يا شرطي، هيا أرجعني إلى مكاني. وإذا أردتم أن أخضع لهذا الفحص، فأتوا بطبيب يكون رجلًا هو الذي

يفحصني، وليس امرأة.. هذا حرام، لكنكم لا تدرون بذلك، ما زال الوقت أمامكم لكي تعودوا إلى طريق الله.

نظر الموظف إلى «محمود»، وعندما أراد أن يجيبه، قاطعته الطبيبة قائلة: يا أخي «سعد»، لا تكلم هذا الإنسان غير المعروف ما هو دينه، فأكيد ليس هو الإسلام.. أنا التي ستتحدث إليه.. اسمع يا رجل، هنا ليس بيتك لكي تأمرنا، هنا من يحكم ويأمر هو القانون.. هيا اذهب إلى هناك من أجل أن أفحصك.

غضب «محمود» ونظر إلى تحت قائلًا لها: ألا تستحيين عندما تحدثين الرجال؟ حرام أن تلمس المرأة رجلًا ليس ابنها ولا زوجها.

ردت عليه: حسبنا الله ونعم الوكيل.. أستحي ممن؟ هل أستحي منك؟ أنت الذي يقتل البشر بلا «رحمة»؟ عندما أتحدث إليك تنظر إلي.. ديني هو الإسلام يعطيني حق أن ألمس الرجال، لأني طبيبة، ومهمتي في هذه الحياة هي أن أعالج المرضى. وسوف أخبرك معلومة لا أظنك تعرفها، لأنك طوال عمرك تدربت كيف تلمس السلاح من أجل أن تزرع الرعب بنفوس الناس.. إن النساء في عهد الرسول –عليه الصلاة والسلام–، كن يعالجن الجرحى من جند المسلمين (رأت القرآن الكريم فوق المكتب، فاقتربت منه لأخذه وأعطته لـ«محمود») قائلة: خذ هذا

القرآن الكريم، لتقرأه، ولتتعرف على دين الإسلام الحق.. يبدو أنك لم تعرفه، رغم أنك تقول إنك تحارب في سبيله.. والآن اتركني أقوم بعملي.

كانت عيون «محمود» مليئة بالغضب فتحرك بسرعة.. ظن الحارس أنه يريد شرًّا بالطبيبة، فحاول منعه. لكن الطبيبة قالت له: انتظر يا «سعد».

رد عليها: حسنًا يا سيدتي «إيمان».

وقف «سعد». فذهب «محمود» إلى جانب السرير، ثم نظر إلى «إيمان».

قالت له: حسنًا.. أخيرًا ستتركني أقوم بعملي؟ أنت إنسان متكبر. وابتسمت.

بعد عدة أشهر، كانت المشكلات كثيرة بين «محمود» والطبيبة «إيمان»، فقد أصبح يساعدها في قسم الصحة.

كان كل مرة يقع سوء فهم بينهما لأسباب مختلفة، فكانت علاقتهما مثل القط والفأر. في ذلك الوقت بدأ «محمود» يندم على الأفعال الإجرامية التي قام بها مع تلك الجماعة، وكان كل الليل يقرأ القرآن الكريم، وفي هذه المدة عرف كثيرًا من المعلومات التي لم يكن يعرفها.

وذات يوم، كان «محمود» يساعد «إيمانًا» في جمع الأدوية بالخزنة، ولكنها لم تعجبها الطريقة التي يجمع بها.. فقالت له: يا «محمود» ليست سلسلة الأدوية مناسبة، ذاك الدواء يجب أن يكون هناك.

غضب «محمود» وقال لها: خذي اجمعيها بنفسك.. وخرج من المكتب، أما هي فنظرت إليه، وقالت في نفسها: اليوم ذهبت، ولكن غدًا سترجع إلى هنا –إن شاء الله–، وأنا وراءك حتى تغير فكرتك عن النساء.

في ليلة من الليالي كان «محمود» يصلي، وبعدما انتهى، بدأ يبكي ويقول: يا إلهي سامحني، واعفُ عن أخطائي.. مرت السنوات، كبر «محمود» وصار لا يستطع أن ينظر إلى وجه السجناء ولا الموظفين، كان صديقه في تلك الأثناء القلم والورقة.

لقد تحسنت علاقته مع الطبيبة «إيمان»، وبدأ يشعر بشيء تجاهها، لكنه لا يستطع أن يعترف لها بذلك الإحساس، لأنه يشعر بالندم على تعامله معها في أول يوم التقاها فيه.

لقد لاحظت الطبيبة «إيمان» أن «محمودًا» تغير. وذات يوم كان يساعدها في قسم الصحة، فنظرت إليه وقالت: يا «محمود»، هل من الممكن أن نتحدث قليلًا؟

أجابها: حسنًا يا سيدتي «إيمان»، تفضلي.

تفاجأت «إيمان».. ثم جلسا إلى المكتب.

قالت: منذ مدة لاحظت أنك غير الذي كنت أعرفه.. هل أنت مريض؟ ماذا حدث لك؟

رد عليها: لا بل صحتي بخير الحمد لله.. لقد مات «محمود» الظالم الذي كنت تعرفينه.. لقد عرفت أخطائي الكثيرة، لأني الآن أقرأ القرآن الكريم. أتمنى من الله أن يسامحني على أخطائي التي قمت بها عندما كنت أظن بأني أحارب في سبيل دين محمد –عليه الصلاة والسلام–، وفي الحقيقة كنت أسيء إلى تلك الصورة الجميلة التي جاء بها الإسلام.. إنني لا أستطيع أن أسامح نفسي على تلك الأخطاء.. أعتذر منك لأني كنت أتعامل معك بشكل سيئ.

كانت عيونه مليئة بالحزن.

ابتسمت الطبيبة «إيمان» وقالت: أكيد أن الله سوف يسامحك، لأنك ندمت ولن تعمل تلك الأخطاء مرة أخرى. أما بالنسبة لي فقد سامحتك، وفي الحقيقة كنت أريد أن أسمع منك اعتذارًا، وها أنا قد

سمعته. ولكن هل فكرت أنه يجب أن تعتذر لأميك الاثنتين: واحدة منهما أعطتك الحياة، والثانية ربتك حتى وصلت إلى هذه السن.

أجابها قائلًا: لديك حق يا سيدتي، بحيث أن أعتذر لوالدتي، ولتلك السيدة أيضًا، يجب أن أعتذر لها لأنها والدتي الحقيقية، رغم اختلاف ديننا، فهي من أعطتني الحياة.. ولكن أولًا يجب عليّ أن أبني حياتي من جديد. منذ الآن سيصبح هدفي من الحياة هو نشر دين الإسلام الحقيقي المتسامح مع كل الاديان الأخرى. نظرا إلى بعضهما البعض.

ردت عليه: صح.. هدف جميل. سأنصحك نصيحة أتمنى أن تأخذ بها: ادخل إلى «مؤسسة محمد السادس» لإعادة إدماج السجناء من أجل أن تتعلم أي حرفة.

قال: شكرًا جزيلًا على نصيحتك، إنها جيدة. نظرا إلى بعضهما البعض.

بعد عدة أيام، قرر «محمود» أن يعمل بنصيحة الطبيبة «إيمان»، لهذا ذهب إلى إدارة السجن من أجل أن يقول لهم أنه يريد أن يلتحق بالتكوين المهني.. رحبت الإدارة بالفكرة. وبالفعل التحق «محمود» بالتكوين المهني شعبة الخزف.

كان مجتهدًا: كل يوم كان هو أول من يحضر إلى القسم، لا يتأخر ولو ثانية.

باب التوبة دائمًا مفتوح لكل من ندم، ولكل من أراد أن يغير حياته.. «محمود» قد علم أن تلك الطريق التي مشي فيها كانت غير صحيحة، وليست طريق الله، بل هي طريق الشر والأحزان.

أما الآن فقد ازداد حبه لدينه الإسلام وللناس، هو يعمل على إصلاح حياته.

بعد عشر سنوات، استطاع «محمود» أن يغير حياته، وأن يبتعد عن التفكير في الإجرام، كل هذا بفضل القرآن الكريم، وبعض الكتب التي كانت لدى السجناء وبمكتبة السجن.

أكمل «محمود» تعليمه بشعبة الخزف، وحصل على الشهادة المهنية.

كانت «حليمة» تزور «محمودًا» في السجن بعد أن سُمح لها بذلك، كانت تجلب له أخبار عائلتهما، وحتى أخبار العائلة اليهودية.

وذات زيارة أخبرته أن والدته الحقيقية مريضة كثيرًا.

هذا الخبر أحزن قلبه، لأنها والدته، رغم أن دينها ليس دينه. هي والدته كيفما كانت، حتى لو كانت مجرمة، هي والدته، ولا يستطيع أي أحد أن يغير هذه الحقيقة، لأنها والدته الحقيقية أمام الله. مرت الأيام، وكانت الصداقة بين «محمود» و«إيمان» جميلة؛ كانا يتحدثان عن مستقبلهما وأحلامهما. مع الوقت تحولت تلك الصداقة إلى حب، ولكنهما لم يستطيعا أن يعترفا بحقيقة مشاعرهما لبعضهما، بسبب مستواهما الاجتماعي.

في أحد الأيام، جاء أخيرًا اليوم الذي سيخرج فيه «محمود» من السجن بفضل العفو الملكي، بعد اثنتي عشرة سنة قضاها بالسجن.

أول عمل قام به عند خروجه من السجن هو تقبيل الأرض أمام أنظار الموظفين، وأمام أنظار الطبيبة «إيمان»، لأنها كانت في انتظاره.. شكر ربه على نعمة الحرية. ابتسمت «إيمان» ثم اقتربت منه، وقالت: مبروك لك، يا سيد «محمود»، حمدًا لله على سلامتك..

رد عليها: شكرًا جزيلًا لك.. أتمنى ألا أعود إلى السجن أبدًا، لأن الحياة كانت داخله صعبة جدًّا، ولكنني استفدت منها كثيرًا. ولو لم أدخل السجن لربما كنت قمت بأعمال إجرامية خطيرة، في حق نفسي، وحق بلدي «المغرب»، رفقة تلك الجماعة التي كانت تستغلنا من أجل

مصلحتها الشخصية. بفضل السجن تعرفت على أناس لهم فضل كبير على حياتي الجديدة، ومنهم أنت.. حقًّا أنا إنسان محظوظ جدًّا بمعرفتكم.

نظرت إليه بابتسامة جميلة، وقالت: الحمد لله، ونحن أيضًا تشرفنا بمعرفتك.. هل تريدني أن أوصلك إلى مكان ما؟

أجابها: حسنًا، في الحقيقة هناك بيتان، وأولهما بيت عائلتي الحقيقية، إذا كان ممكنًا.. نعم أريد أن توصليني إليه.

بعد ساعتين، وصلت سيارة «إيمان» إلى منزل العائلة اليهودية: كان «محمود» يريد زيارة والدته الحقيقية. نزل «محمود» من السيارة، ورأى البيت فتذكر ذلك اليوم التعيس الذي حاول فيه قتل والدته، ولكنه ولله الحمد لم يستطع، لأنه عرف الحقيقة في الوقت المناسب.

كان «محمود» ينظر إلى الباب، ولم يستطع أن يواجه والدته، فحاول أن يتراجع عن الفكرة، لكنَّ «إيمانًا» منعته من ذلك. فقالت له بعينيها: لا تتراجع يا «محمود»، إن هذه هي الحقيقة يجب أن تعترف بها، وأن تواجهها.. هيا ادخل إلى المنزل.

فنظر إلى الباب من جديد وبعد قليل قرع الباب.. لقد فتحت «يافيت» الباب، وتفاجأت برؤية «محمود».. قال «محمود»: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل السيدة «راشد» في البيت؟

كانت «يافيت» متوترة، قالت: أنت؟.. رد عليها: نعم.. أنا.. هل من الممكن أن أتحدث مع السيدة «راشد»؟

دون أن ترد عليه دخلت للمنزل، وذهبت إلى غرفة والدتها.

وحينما دخلت إليها كانت متوترة جدًّا.. رأتها والدتها، فقالت لها: ماذا يا ابنتي «يافيت»؟! ممَّ أنتِ خائفة؟

ردت عليها: لقد أتى من جديد..

قالت الأم باستغراب: من أتى؟ من هذا الذي تخافين منه لهذه الدرجة؟

أجابت «يافيت»: ذلك المجرم الذي حاول أن يقتلنا بالماضي.. هو من أتى..

ردت عليها الأم بفرح: من؟ هل تقصدين «محمودًا» هو الذي أتى؟.. أين هو...؟ أين ابني «محمود»؟

قالت «يافيت»: إنه عند الباب.. ولكن، يا والدتي أظن أنه يجب أن نخبر الشرطة عنه..

قاطعتها قائلة: اخرسي.. هل تريدين أن تخبري الشرطة عن أخيك؟.. لقد سامحته، ونسيت أنه حاول قتلي، لأنه ابني، وهو قطعة مني. ربما أنا من بين الأسباب التي جعلته يذهب في هذا الطريق لأني تركته.. هيا اذهبي ودعيه يدخل.

خرجت «يافيت» وتركت والدتها فرحة كثيرًا: كان اليوم مثل عيد عندها.

بعد ثلاث دقائق.. دخلت الأم إلى الغرفة التي دخل إليها «محمود» قبل قليل، أخيرًا جمع القدر أمًّا مع ابنها من جديد، لكن هذه المرة أفضل من المرة الأولى.

نظرا إلى بعضهما.. لم يستطع «محمود» الاقتراب من والدته، ولكنها لم تستطع أن تصبر ولو ثانية فحضنته، وهي تقول: ابني.. ابني.. سامحني يا ابني.

كان «محمود» تائهًا بسبب مشاعره التي كانت متضاربة، كان بداخله صوت غريب يقول له: اتركنا يا «محمود» قليلًا في هذا الحِضن الدافئ

الذي حُرمنا منه منذ زمن بعيد.. في الحقيقة كان ذلك صوت «محمود» رضيعًا الذي لم ينسَ حِضن والدته الحقيقية، رغم هذه السنوات الطويلة، واشتاق كثيرًا إليه.

نزلت الدمعة من عينيه مقابل كل سنوات البعد.

ابتعد «محمود» عن والدته، رغم أنه في الحقيقة لم يكن يريد أن يبتعد.

قال: يا سيدتي «راشد»، كيف حال صحتك؟ لقد سمعت أنكِ كنتِ مريضة..

ردت عليه بكل الفرح والسرور: أصبحت بخير لما رأيتك. اليوم عيد بالنسبة لي بسبب خروجك من السجن.. أريد أن أزغرد بشدة: إني فرحة جدًّا.. ماذا عنك يا عزيزي؟

كيف عشت داخل السجن؟ هل حدث لك مكروه هناك؟

قال: الحمد لله.. لن نعش إلا ما كتبه الله لنا.. كانت الحياة داخل السجن صعبة، ولكني تعلمت منها كثيرًا من الأشياء.

قالت بحزن: سامحني يا ابني، لأني السبب الأول في أنك ذهبت في ذلك الطريق.. سامحني يا بني.. سامحني.. ولو كنت أعلم، عندما تركتك، أني

لن أرجع إليك ما تركتك أبدًا، وكنت قمت بشيء آخر، لكن للأسف الشديد لم أكن أعلم..

قاطعها قائلًا: لا داعي لأن تتأسفي. كما قلتُ سابقًا: لن نعيش إلا ما كتبه الله لنا، هذا هو قدري في الحياة.. لكن يجب أن أحترمكِ على ما فعلتِه في الماضي من أجل أن تنقذي طفلا صغيرا كان بين الحياة والموت ولم تفكري بمصلحة ابنك أو مصلحتك. وهذا الفعل لا يمكن لأي إنسان القيام به. شكرًا لك على أنك تركتِني في هذا المجتمع الجميل، رغم أنه كان يجب أن أبقى معك، لأني كنت رضيعًا، وكنت كباقي الرُّضَّع، أحتاج إلى حنان والدتي الحقيقة، ولكنَّ الله عوضني أمًّا هي أيضًا ابتعدت عن ابنها الحقيقي.. إن العلاقة بين الأم والابن هي أجمل علاقة وأجمل إحساس في هذا الكون، ولا أحد يمكنه أن يشعر به إلا الوالدة الحقيقة مع أبنائها..

يا سيدتي إنكِ والدتي الحقيقية.. أحببت ذلك أو كرهته، ويجب أن أحترمك وأن أساعدك في كل شيء تحتاجين إليه، لأنك والدتي، وهذا ما أوصى به ديني الإسلام، وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز.. لكن أرجوكِ لا تطلبي مني أي طلب لا أستطيع أن ألبيه، لأني مسلم، وسأبقى كذلك إلى الأبد.

قالت: نعم يا ابني، وأنا أعترف بأن أحد أبنائي مسلم، وليس يهوديًّا.. أنا أحبه كثيرًا رغم دينه وأفكاره المختلفة عني.. ولكني لدي طلب واحد يمكنك أن تعتبره بسيطًا، وبالنسبة لي هو كبير مثل هذا العالم.. أتمنى أن أسمع منك، على لسانك، كلمة «أمي»..

رد عليها: طيب يا سيدتي «راشد».. طيب يا «أمي»..

فبكت الأم اليهودية، أما «محمود» فقد نظر إليها وعيناه مليئة بالدموع.. لم يستطع السيطرة على نفسه، فاقترب من والدته، ليحضنها وهو يقول: يا «أمي».. يا «أمي».. يا «أمي».

هي الأخرى كانت تقول: يا «ابني».. يا «ابني».. يا «ابني»..

كانت «يافيت» تنظر إليهما، وقد أثر فيها هذا المشهد.

تقبل «محمود» أنه من عائلة يهودية، وسوف يعيش معها باحترام وسعادة، رغم دينه المختلف عنها.

دخل «جاد» ورأى «محمودًا» وهو يحضن أمهم. ففرح لأن أمه التي ربته التقت أخيرًا ابنها الذي كان هو سبب ابتعادهما عن بعضهما بسبب مرضه. فلاحظوا وجوده. فقال: أهلًا وسهلًا بك يا سيدي «محمود»، كيف حالك؟ أتمنى أن تكون بخير. سعدت برؤيتك.

رد عليه «محمود»: شكرًا يا سيدي «جاد». أنا بخير الحمد الله.. وأنت كيف حال صحتك؟

قال «محمود» لوالدته: يا سيدتي «راشد».. أعتذر.. يا «أمي» إلى اللقاء، لأني سأذهب إلى منزل أمي «رحمة»، لكي أراها وأرى إخواني..

ردت عليه: كنت أريدك أن تظل معنا بعض الوقت، ولكنك يجب أن تذهب عندها، لأنها هي أيضًا أمك.

بعد 10 دقائق، خرج «محمود» من المنزل، ورأى «إيمانًا» في انتظاره، وهي أيضًا رأته فابتسمت.. فاقترب منها. قالت: كيف مرت الأمور معك؟ هل أنت بخير؟

أجابها قائلًا: نعم.. أصبحت بخير.. كأني كنت أحمل حملًا ثقيلًا، والآن وضعته وارتحت منه.. هذا يرجع إلى فضل تشجيعك..

أمسك يديها، وقال: أعتقد أنه حان الوقت كي أعبر لك عن المشاعر التي أشعر بها عندما أكون معك، حين أكون أتحدث معك أشعر بالراحة، وكأني أتحدث مع نفسي.. نعم في الأول، للأسف، كانت بيننا المشكلات، بسبب أني كنت ظالمًا، ولكنك ساعدتِني على الخروجِ من ذلك العالم المظلم.. والآن لدي أمنية: أتمنى أن تكوني سيدة بيتي..

أقصد أتمنى أن أتزوج بك على سنة الله ورسوله -عليه السلام-.. أنا تحدثت معك عن حقيقة مشاعري التي أشعر بها تجاهك من ناحيتي فقط، ولا أعتقد أنك ستوافقين على الزواج بي بسبب وضعي الاجتماعي، واليوم فقط خرجت من السجن..

لم تستطع أن ترد عليه، وفقط كانت تنظر إليه.

فقال: انسي هذا الكلام.. أتمنى ألا يؤثر على صداقتنا.

قاطعته قائلة: موافقة.. أنا أوافق على الزواج بك، لأنك إنسان طيب، رغم ماضيك الأسود.. أنا كنت أبحث عن إنسان يفهمني وأفهمه، لأشاركه حياتي، وهو أيضًا يشركني حياته، وإذا أراد الله يكون لدينا أبناء، ونعيش في سعادة وحب. في الأخير، ها أنا قد وجدت ذلك الإنسان.

تفاجأ «محمود» وفرح جدًّا.

قال لها بكل الفرح والسرور: ماذا؟ يا سيدتي «إيمان».. هل أنت موافقة على الزواج بي؟ شكرًا جزيلًا يا «إيمان»، وأعدك أن تعيشي معي في سعادة إلى الأبد.. سوف نتزوج في أقرب فرصة ممكنة.. لكن أوَّلًا.. هيا لنذهب إلى عائلتي التي ربتني من أجل أن أخبرهم بهذا الخبر السعيد.

كان «محمود» و«إيمان» سعيدين جدًّا. ثم ساروا في اتجاه منزل العائلة المسلمة.. وضعت يدها في يده.

نظر إلى السماء ورأى طيورًا تطير، فحدث نفسه: يا حياة كم أنكِ صعبة، ولكن رغم ذلك إنكِ جميلة.. شكرًا يا إلهي على أنك أردتني أن أكون مسلمًا وليس يهوديًّا، شكرًا جزيلًا لك على نعمة الدين الإسلامي الأعظم، لكني لم أستطع أن أحافظ على ديني الصحيح، وقد ذهبت في طريق الشرِّ، فعاقبتني عقابًا قاسيًا أستحقه.. شكرًا لك، لأنك أعطيتني فرصة ثانية، لكي أعيش حسب ما يناسب ديني الإسلامي الحقيقي المتسامح مع كل الديانات الأخرى.. سبحان الله.. قدري مثل اللعبة، يلعب بي كما يريد..

كان الحفل الخاص بـ«جاد» في المسرح الوطني، فأتى إليه كل من العائلة اليهودية والعائلة المسلمة من أجل أن يشجعوا ابنهم «جادًا»، حتى «محمود» و«إيمان» أتيا.

خرج «جاد» إلى الجمهور فرحب به، وقف وسط خشبة المسرح. وقال للحضور: شكرًا جزيلًا، قبل أن أبدأ في أداء الموسيقى اليهودية المغربية أريد أن أعرفكم بنفسي، أنا فنان يهودي مغربي، ولكن عائلتي مسلمة.. لا شكَّ تتساءلون كيف أصبحت يهوديًّا، ولست مسلمًا؟ سوف

أجيبكم: عندما كنت رضيعًا مرضت بمرض خطير، لدرجة أن الأطباء قالوا لوالدتي أنني سوف أموت ولن أعيش.. لكنها لم تستسلم، لهذا ذهبت إلى منزل صديقتها اليهودية..

بعد ساعة.. تفاجأ الجمهور وتأثر.. كانت الدموع في عيون الأم اليهودية، وكذلك في عيون الأم المسلمة.

قال «جاد»: أنا أحب عائلتي كما أحب ديني اليهودي، ولن أتخلى عنهما أبدًا.. أريد أن أشكر أمي التي ربتني، لأنها أنقذتني، رغم أن هذا هو السبب الأول الذي جعلها تبتعد عن ابنها الحقيقي.. أحبكم جميعًا.

ثم بدأ يغني.. يجبُ أن نحبَّ العيشَ المشتركَ وتقبُّلَ الآخرَ رغمَ اختلافِ أفكارِه وديانتِه، ليسَ فقطْ في المجتمعِ، بلْ وداخلَ العائلةِ الواحدةِ.. لنتركَ أنفسَنا نعيشُ بسلامٍ وأمنٍ، رغمَ أنَّ لدينا دياناتٍ وأفكارًا مختلفةً.. يجبُ أن نتقبَّلَ بعضَنا، رغمَ اختلافِ أفكارِنا، لأنَّ عقولَنا لا تتشابهُ، حتىٰ ولو كان لنا دينٌ واحدٌ.

النهاية

تمت بحمد الله

من توقيع كاتب هاوٍ: «عثمان يا عثمان»

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكترونـي بشـــــراكة مـــــع جـــــروب ملتقـــــى الأقـــــلام المُبدعـــــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

لعبة القدر

هذه الرواية تدعو إلى العيش المشترك بين الديانات وبين الأفكار والمعتقدات المختلفة، رغم أن هذا سيكون صعبا للغاية، وذلك تحقيقا لقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

وأخيرا فإن تضامننا بلا حدود مع الشعب الفلسطيني بلد الأحرار.

دار البسمة للنشر الإلكتروني

+212 771 814 934
basma24design@gmail.com
bassmabook
www.darbassma.net